قوله ولبثوا في كهفهم فقال معناه اي يقولون ذلك وهو احد
التاويلات فيها وعلى هذا القول قراه ابن مسعود وقالوا لبثوا في كهفهم بزيادة
قالوا ثم قال ابن اسحق قل ربي اعلم بما لبثوا وهو وهم من المولف او غيره والا
التلاوة قل الله اعلم بما لبثوا وقد قيل انه اخبار من الله عز وجل عن مقدار لبثهم
ولكن لما علم استبعاد قريش وغيرهم من الكفار لهذا المقدار وعلم ان
فيه تنازعا بين الناس قال ثم قال الله اعلم بما لبثوا وقوله سنين وازدادوا
تسعا اي انها ثلثمايه بحساب العجم وان حسبت بالاهلة فقد زاد العدد تسعا لان
ثلثمايه بحساب الشمس تسع وثلثمايه بحساب القمر فان قيل كيف قال ثلثمايه
سنين ولم يقل ثلثمايه سنة وهو قياس العدد في العربية لان المايه تضاف
الى لفظ الواحد فالجواب ان سنين في الاية بدل مما قبله ليس على
أخذ الاضافه ولا التمييز ولحكمة عظيمة عدل باللفظ عن الاضافه الى البدل
وذلك انه لو قال ثلثمايه سنة لكان الكلام كانه جواب لطائفة واحدة من الناس
والناس فيهم طائفتان طائفة عرفوا طول لبثهم ولم يعلموا كمية السنين فعرفهم
انه ثلثمايه وطائفة لم يعرفوا طول لبثهم ولا شيا من خبرهم فلما قال ثلثمايه
معرفا للاولين بالكمية التي شكوا فيها مبينا للاخرين ان هذه الثلثمايه سنون
وليست اياما ولا شهورا فانتظم البيان للطائفتين من ذكر العدد وجمع
المعدود وتبين انه بدل اذ البدل يراد به تبيين ما قبله الا ترى ان اليهود
قد كانوا عرفوا ان لاصحاب الكهف نبا عجيبا ولم يكن العجب الا من طول لبثهم
غير انهم لم يكونوا على يقين من انها ثلثمايه او اقل فاخبر ان تلك السنين ثلثمايه
ثم لو وقف الكلام هاهنا لقالت العرب ومن لم يسمع بخبرهم ما هذه الثلثمايه
فقال كالمبين لهم سنين وقد روي معنى هذا التفسير عن الضحاك **فصل**
وقال سنين ولم يقل اعواما والسنة والعام وان اتسعت العرب
فيهما واستعملت كل اسم منهما مكان الاخر اتساعا ولكن بينهما في حكم البلاغة
والعلم بتنزيل الكلام فرقا فخذه اولا من الاشتقاق فان السنة من سنا يسنوا
اذا دارت حول البير والدابة وهي السانيه فكذلك السنة دورة من دورات
الشمس وقد تسمى السنة دارا ففي الخبر ان بين ادم وبين نوح الف دار اي الف
سنة هذا اصل الاسم ومن ثم قالوا اكلتهم السنة فسموا شدة القحط سنة
قال الله سبحانه ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ومن ثم قيل اسنت القوم اذا
قحطوا وكان وزنه افعلوا لا فعلوا كذا قال بعضهم وجعل سيبويه التا
بدلا من الواو فهي عنده افعلوا لان الجدوبه والخصب معتبر بالشتا والصيف
وحساب العجم انما هو بالسنين الشمسية بها يورخون واصحاب الكهف من امة

عجمية

عجمية والنصارى يعرفون حديثهم ويورخون به فجا اللفظ في القران بذكر
السنين الموافقه لحسابهم وتم الفائده بقوله وازدادوا تسعا ليوافق حساب العرب
فان حسابهم بالشهور القمريه كالمحرم وصفر ونحوهما وانظر بعد هذا الى قوله
تزرعون سبع سنين دابا الاية ولم يقل اعواما ففيه شاهد لما تقدم غير انه قال
ثم ياتي من بعد ذلك عام ولم يقل سنة عدولا عن اللفظ المشترك فان السنة قد
يعبر بها عن الشدة والازمة كما تقدم فلو قال سنة لذهب الوهم اليها لان
العام اقل ايامًا من السنة وانما دلت الرويا على سبع سنين شداد فاذا انقضى العدد
فليس بعد الشدة الا رخا وليس في الرويا ما يدل على مدة ذلك الرخا
ولا يمكن ان يكون اقل من عام والزيادة على العام مشكوك فيها لا تقتضيه الرويا
فحكم بالاقل وترك ما يقع الشك فيه من الزيادة على العام فهذه فايدتان في اللفظ
بالعام في هذا الموطن واما قوله وبلغ اربعين سنة فانما ذكر السنين لهم
وهي اطول من الاعوام لانه مخبر عن اكتمال الانسان وتمام قوته واستوايه
بلفظ السنين اولى بهذا الموطن لانها اكمل من الاعوام وفايدة اخرى وهو انه
خبر عن السن والسن معتبر بالسنين لان اصل السن في الحيوان لا يعتبر الا
بالسنة الشمسية لان النتاج والحمل يكون بالربيع والصيف حتى قيل ربعي للبكر
وصيفي للموخر قال الراجز
ان بني صبية صيفيون افلح من كان له ربعيون فاستعمله في الادميين وان
كان اصله في الماشيه لما قدمنا واما قوله وفصاله في عامين فلانه قال سبحانه
يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس فالرضاع من الاحكام الشرعيه
وقد قصر ما في الاحكام الشرعيه على الحساب بالاهلة وكذلك قوله يحلونه
عاما ويحرمونه عاما ولم يقل سنة يعني شهر المحرم ورجب الى اخر العام
ولم يكونوا يحسبون بايلول ولا بتشرين ولا بيبر وفبرير وهي الشهور الشمسية
وقوله سبحانه فاماته الله مائة عام اخبار منه لمحمد وامته
وحسابهم بالاعوام والاهلة كما وقت لهم سبحانه وقوله سبحانه في قصة نوح الف
سنة الا خمسين عاما فقيل انما ذكر اولا السنين لانه كان في شدايد في مدته
كلها الا خمسين عاما منذ جاءه الفرج واتاه الغوث ويجوز ان يكون الله سبحانه
علم ان عمره كان الفا الا خمسين منها كانت اعواما فيكون عمره الف سنة
ينقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية في الخمسين خاصة لان خمسين
عاما بحساب الاهلة اقل من خمسين سنة من عام ونصف فان كان الله قد
علم هذا من عمره فاللفظ موافق لهذا المعنى والا ففي القول الاول مقنع والله
اعلم بما اراد فتامل هذا فان العلم بتنزيل الكلام ووضع الالفاظ في مواضعها

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)